السادن . وقاضي الحق . والقائف على مثال كليلة ودمنة وتفسير منار القائف . ومديح الامراء . وملقى السبيل في الوعظ . والمواعظ الستية ونظم السور . والتفسير النافع في النحو . وخطب الخيل عن السنتها . ورسائل المعونة . والصاهل والشاحج . وزجر النابح يتعلق بلزوم ما لا يلزم . والسجعات العشر في الوعظ . وسجع الحمائم . والسجع السلطاني في مخاطبات الملوك والوزراء . وسجع الفقيه . وسجع المضطرين عمله لرجل تاجر يستعين به على دنياه . وشرف السيف عمله لامير الجيوش . واعظم مؤلفاته الايك والغصون او الهمزة والردف لم يغادر فيه صغيرة ولا كبيرة من فنون الشعر والادب الا احصاها يقع في الف ومائتي كراس وربما بلغ اربعين مجلداً من كتبنا اليوم . الى غير ذلك مما يغني قليله عن كثيره

فهذا شيخ المعرة وفيلسوف الشعراء وشاعر الفلاسفة وهذه آثاره التي خلفها رحمه الله تنشد قول ابي الفتح حصينة المعري فيه :

وعجبت ان تسع المعرة قبره   ويضيق بطن الارض عنه الاوسع
لو فاضت المهجات يوم وفاته   ما استكثرت فيه فكيف الادمع

زحلة (لبنان)   عيسى اسكندر المعلوف

نظرة في النظرات

تتمة ما ورد في الجزء الماضي

اراد المنفلوطي في كلامه هذا ان يفهم الامة بأن ما دعا اليه من المبادئ الدينية لم يحن بعد وقتها وان سواد هذه الامة لم يتأهلوا لقبول هذه المبادئ جاعلاً ذلك علة الفشل في الحادهم ومروقهم من الدين وهو قياس منطقي أبعد المنفلوطي عن ان يحشو فكره بمثله من الاوهام والخيالات التي ابان فيها عن فكر ليس له حظ من التجربة والاختبار .

لا يستطيع صاحب النظرات وهو العالم ان ينكر ان جل الدعاة ان لم اقل كلهم انجبهم الدهر وولدتهم العصور في اوقات كانت فيها الافكار حيرى يقارع بعضها بعضاً في ميدان الحياة . ومن هنا نعلم الحاجة الماسة الى المرشدين في مثل هذه الاحوال الحرجة والمآزق الضيقة وانهم متى قاموا بفكرة اصلاحية لابد ان يلاقوا في طريقهم من عثرات الفريق المخالف ما يستهدفون معه لضروب الايذاء فيقومون بين مخالب الطعن والنقد حتى تتسرب

الفكرة الى بعض من يعجل الى نشرها في سرهم وجهرهم ليبقوا من بعدهم هذه حية حيوية في المجتمع الانساني لمن يأتي بعدهم ممن تجد لها من عقولهم مادة تتأصل في نفوسهم فيستفيدون اذ ذاك ويفيدون بما يدعون اليه ويدعون وراء اشرابها النفوس ما وجدوا الى ذلك سبيلا .

بمثل هذا قامت المذاهب والاديان وتأيدت الآراء العلمية والنظريات الفلسفية . واذا لم يكن الامر كذلك فليدلنا المنفلوطي برهانا يبين مصلحا قام بفكرة جديدة ولم يقم في وجهه في نشأته حتى من بني جلدته من يعمل على محاربته ومناهضته بكل ما فيه من قوة وقدرة .

وبالله كيف جاز له ان يحكم على ان المبادىء السامية التي دعا اليها الشيخ محمد عبده كانت مدعاة للالحاد والمروق من الدين بدعوى ان دعوته لم يجن بعد وقتها او انه يوجد ثمة من يلقنها ويحبذها او انها نشرت بين فئة اتخذوا من هداها ضلالا ومن نورها دجى حالكا . وهؤلاء تلامذته مصريهم وشاميهم وعراقيهم وحجازيهم في عامة الاقطار يتناغون في مبادئه ويتدارسون كتبه لم ينظر اليهم الاستاذ المنفلوطي ونظر الى فئة ضالة مضلة لابد من وجودها في كل عصر ومصر

وكان الواجب على من لم يفهم ما اراد الاستاذ الامام او اشتبه عليه بأن يسأل عنه اهل العلم فقد قال احد شيوخ العلم : « يستحيل في نظر العقل ان يدعو الحق الى الباطل والهدى الى الالحاد واصول الدين الصحيح الى المروق منه ، بل ما ابطل مبطل ولا الحد ملحد ولا مرق مارق الا بجهله بالاصول الصحيحة ونبذه التعلم السديد وسلوك جواده القويمة »

ولو كان من شروط الدعوة فقد المناوئين خشية مناهضتهم ومحاربتهم لما قام نبي بدعوة ولا عالم بارشاد وتعليم ولكانت الفكرة الاصلاحية التي قوبلت بالمناهضة ثوت في ثرى الرمس قبل ان يلحد القائم بها ولما كنا رأينا كتابا منزلا ولا دينا غضا ولا علما صحيحا وبالجملة ما كانت الامم مدنية زاهرة ولا عمران زاخر .

ولا وجه لانكاره على هذا الامام التأويل لان اتخاذ التأويل قاعدة مما لا نكران فيه في كل تأويل جرى اللسان في مثله وسمحت به اللغة وهي في ثروتها وغزارة مادتها وسعت من المجاز ما يربو على الحقيقة حتى صرح ائمة البيان أن المجاز اكثر من الحقيقة . ولو اعار نظره الى من سبق ذلك الامام في مسألة الجن والملك كحجة الاسلام الغزالي والراغب

الاصفهاني والقاشاني ونحوهم لما انكر هذه المسألة وقد اوضح ذلك الاستاذ الشيخ جمال الدين القاسمي في كتابه « مذاهب الاعراب وفلاسفة الاسلام في الجن » وافاض في هذه المسألة بما لا يبقى معه ريبة لمرتاب فليرجع اليه من شاء (١)

واما ما قام به الامام من بيان اسرار الدين وحكمه فذلك من قديم عني به ائمة الاسلام وفلاسفته كالائمة الذين تقدم ذكرهم واضرابهم وهو عندهم من اجل الفنون التي يجب درسها والتوسع فيها . وقد اخذوا على انفسهم ان يفهموا الامة ان الدين مؤاخ للعقل مؤازر للحكمة ليس فيه ما يبعد عن العقل او يند عن الفهم وحجتهم في ذلك ان القرآن الكريم هو الذي مهد السبيل للتعليل وصرح بذلك في آيات لا تحصى كما اوضحه الامام ابن القيم في كتاب « التعليل » وقد حذا حذوه من المتأخرين حتى برع في هذا العلم — علم الحكم والاسرار — الامام ولي الله الدهلوي فألف كتابه المشهور « حجة الله البالغة » وافرغ جهده في استنباط الاسرار في العبادات والمعاملات حتى جاء في مجلدين كاملين حافلين .

ولقد سفه المنفلوطي رأي قاسم بك امين ايضا ونعى عليه لانه دعا المرأة وقد رآها في احط دركات الجهل الى ان تلم بمعرفة ما يلزمها في جهاد الحياة وجلادها من تربية وتعليم لتكون امرأة صالحة لهذا المجتمع تدبر شؤون منزلها او تضرب في الارض لترتزق ان عضها ناب الفقر وقعدت بموت من يعولها ويكفلها وهو لم يدعها الى ذلك — كما يعلم المنفلوطي — لا لاجل ان تمزق الحجاب وهي من الجهل المريع بمكان .

وما ذنب قاسم بك ان يرى رأيه وما يأبه لكيد الكائدين من تجار الادب والدين « والمرأة اخذت بالاسهل من رأيه والالصق بنفسها من صبغته فتبرجت ورفعت برقعها قبل ان تنسج لها برقعا من الادب والحياء »

ومما لا مشاحة فيه ان رجل المرأة قاسم بك قام بدعوته احسن قيام لوصف الدواء بعد ان شخص الداء ولو كان في البلاد الاوربية لاقيمت له النصب والدمى — وان كان صاحب النظرات لا يقول بالتماثيل — احتفاء به واعترافا ببيض اياديه وسابقة فضله عليهم ولو كان المنفلوطي يقدر عمل العامل وفضل الفاضل لما جرأ على ان يقول فيه : « ما رأيت باطلا اشبه بالحق من باطله » (٢)

---

(١) طبع في الاعداد الثلاثة من المجلد السادس من هذه المجلة ثم افرد منها كتاب خاص على حدة (٢) مقالة طبقات الكتاب ص — ٢٣٢

— ٣ —

آراؤه

ذهب الاستاذ المنفلوطي في طائفة من آرائه مذاهب فريق من فلاسفة القرن السابع عشر والثامن عشر في اوربا حتى قابله بعضهم بروسو من حيث نظره الى المجتمع الانساني ومما قاله : ان ما كتبه روسو في فن التربية والتعليم قائلا : « ايها الرجال ، لا ترهقوا النشء الصغار على ان يفكروا كما تفكرون و يعتقدوا ما تعتقدون ولا تحاولوا افساد ملكاتهم بهذه الفضيلة الموهومة والحرية المطلقة التي هي في مذهب العقل غاية العبودية ومنتهى الاسترقاق الخ ... » — ان ما قاله روسو تعرض له المنفلوطي في فصل له عنوانه « مدينة السعادة » (١) « واغرب ما لفت نظري اني لم ار في تلك المدينة ذلك التمايز الذي اعرفه في مدائننا بين الناس في منازلهم ومراكبهم وازيائهم كأن جميع سكانها سواء في حالة المعيشة ودرجة الثروة »

وفي المنفلوطي نزعة اشتراكية تتجلى في اشدها في هذا الفصل في قوله : « وحسب الرجل من البشر بيت يؤويه ومزرعة صغيرة يقتات منها ودابة تحمل اثقاله ثم لا شأن له فيما سوى ذلك »

وقالوا : يرى روسو ان الدور العالية التي شيدتها الحكومات للتعليم هي التي تغرس مبادئ الجهالة في النفوس وتبعد الانسان عن عقله وفطرته (٢) والمنفلوطي يقول : « واي حاجة الى المدارس في مثل هذا المجتمع وليس بأبر بأبنائنا منا فنحن الذين نتولى تعليمهم وتهذيب نفوسهم وتمرينهم على العمل النافع فلا مدارس عندنا غير المصانع والمزارع نعلمهم كيف يرمون البذور وكيف يستنبتونها وكيف يصنعون الآلات الزراعية وكيف يستعملونها الخ ... »

وبالجملة فمن رأي الشيخ المنفلوطي ان لا يكون في هذا المجتمع سيد ولا مسود ولا غني ولا فقير ولا حاكم ولا محكوم . والشطر الاكبر من الفلسفة التي يدعو اليها هي فلسفة خيالية لا تأثير لها في اثناء القرن العشرين الا بقدر ما للاساطير من التأثير في العلوم الرياضية . وهي ان جاز ان يكون لها انصار قبل مائتي سنة او يزيد فلن تجد لها صاحبا من هذا الجيل الجديد الناشئ في افكار داروين وهيكل وهكسلي وسبنسر ورانكي ومومسن وامثالهم ولا نصيرا وظهيرا لانها مخالفة لسنن الطبيعة والحياة العملية .

---

(١) ص — ٣٨ (٢) التربية الاستقلالية

وقد ذهب مذهب (اسكندر دوما فيس) لفيف من مفكري المتأدبين الغربيين في مقالته «غرفة الاحزان (١)» في المرأة المجرمة من حيث انهم يمهدون لها الاعذار ويرون الرجل اجدر بالملامة منها لانها ضعيفة مفرطة الشعور ولانه هو السبب في هبوطها فراودها عن نفسها واراد ان ينزل بها السوء فخدعها اذ واعدها ان تكون له زوجة ويكون لها بعلا فسلبها قلبها وشرفها وعفتها وغادرها حين علم ان في احشائها جنينا يضطرب وبين جنبيها نارا تضطرم وكان سبب شقائها حتى اصبحت حزينة ذليلة تفضل الموت على عيش لا تستطيع معه ان تكون زوجة لرجل او أمّا لولد واخذ المجتمع البشري يتهكم بها ويعبث ما زادها حزنا واكتئابا.

وقد مثل لنا هذه الفتاة وقد تركت وراءها ما تراه من النعمة الواسعة والعيش الرغد في ذلك القصر الذي كانت متنعمة فيه بعشرة امها وابيها الى منزل حقير في حي مهجور لا يعرفه احد ولا يطرقه طارق لتقضي فيه البقية الباقية من حياتها.

ولم يكتف ببيان هذه الجناية وحدها بل جعل ان امها واباها قضيا حزنا لفقدها ويأسا من لقائها وختم الحادثة بان اضاف الى تلك الجنايات جناية اخرى وهي هلاك المرأة المجرمة بعد ان اودع نفسها من العواطف الشريفة ما شعرت معه بمصيبتها حتى ساورتها الهموم ونالت منها منالا اودى بحياتها وهكذا ضاعف الجرم على الرجل وجعله كاذبا وخادعا ولصا وقاتلا وختم المقالة وهو يمحض الرجال القاسية قلوبهم النصح للرفق بضعيفات النفوس من النساء.

والظاهر ان الاستاذ المنفلوطي كان لا ينظر الى الحقيقة من حيث هي بل كان همه حين يأتي الى وصف حادثة يختلف باختلاف المظاهر والمؤثرات فبينا نرى صفحات مقالة هذه مكتظة بامتلاء النفوس شفقة ورحمة وعطفا وحنانا على العاهرات اذ به يضن عليها بجندي يقف لحفظها ممن يريد ان يسلبها من الحقوق ما لم يبق لها منها الا الذماء ويستكثر عليها ذلك في موقف هي خليقة بالشفقة والعناية اكثر من كل المواقف.

ولقد رأيناه وهو يتكلم على «المرقص» في الازبكية يحمل على الحكومة المصرية حملة منكرة ويحتدم غيظا وحنقا لان هذه الحكومة المدنية المادية (على رأيه) التي هي مسؤولة امام القانون عن استقرار الامن واستتبابه تبعث بجندي يحمي ابواب العاهرات لئلا يعبث المشاغبون بالامن والسكينة ويعيثوا في الارض فسادا.

---

(١) ص — ١٤٢

ومما قال : (١) « ان العين لا تكاد تقع على مشهد اعظم خطراً وندرة كما ابصرت هذا الجندي الشريف واقفاً هذا الموقف الجليل يسمع قراع الدفوف ، لا قراع السيوف ، ويرى حمرة الصهباء لا حمرة الدماء ويحمي الفسق والفجور لا القلاع والثغور . وما اعجب الشيء عجبي هذه الحكومة التي تضن بجنديها ان يشتمه شاتم او يلمسه لامس فتغضب له غضبة مضرية تتراءى فيها الشهامة والحمية والعزة والنخوة ثم لا تضن ان تؤجره نائحة في الجنائز او قوادة في المراقص »

هذا ماقاله المنفلوطي وما يحدوه الى هذا الا الله ود ان يكون في طليعة من يعمل بالدرس الذي القاه على الرجال القاسية قلوبهم ليعلمهم فيه الشفقة والرحمة والاحسان !!! وما اراه في مبدإ هذا الاكتولستوي الفيلسوف الروسي الشهير الذي يهيج هائجه على الحكومة الروسية ويرميها بالمعرة والدعارة لانها تبعث بالاطباء الى المواخير العامة وتعهد اليهم ان يعنوا بتطهيرها خيفة ان تنتقل جراثيم الادواء الدوية من هؤلاء البغيات الباغيات فتعم الشعب بأسره وتراه يرمي الاطباء بكل مكروه بدعوى انهم يدعمون وراء اشاعة الموبقات وتسهيل اسباب الفسق والفجور (٢)

ويقضي علينا الاخذ برأي هذا المصلح الاخلاقي الروسي ان نهمل تعهد اماكن الفسق والمواخير وان ندع الجراثيم تفتك بمن ملكت عليهم امرهم لتسري العدوى في الآخرين وتنتشر الامراض الوبيئة الوبيلة في الامة حتى تهلك عن آخرها بدعوى صون اخلاق الشعب كيلا يتطرق اليها الفساد والخلل .

وقد رحم السيد المنفلوطي المرأة البغي في غير هذا الموضع ايضاً وحض على التزوج بها (٣) ليعيد اليها عرضها وزعم ان ذلك من اعظم القربات وعد الرجل الذي يرد العرض الضال الى صاحبه المفجوع فيه اشرف ممن يمنح الحياة فاقدها . على شرط ان يكون الباعث على الزواج الرحمة والرأفة والحنان والشفقة لينظر في اصلاح قلبها ويحاول ان ينزع من جنبيها ملكة الفساد الراسخة في نفسها و يداخلها مداخلة المؤدب المهذب الذي يصور في نظرها معيشة الفساد بصورة تنفر منها وتشمئز لها .

ومما قال : « ليت الرجال يأتمرون جميعاً على ان يستنقذوا بهذه الوسيلة الشريفة (الزواج) كل امرأة ساقها فقرها وعدمها او فقد عائلها الى البغاء ،

---

(١) ص ١٥٢ (٢) رواية البعث لتولستوي (٣) مقالة الاحسان في الزواج ص — ٢١٤

وقد صرح في هذه المقالة ان [illegible] البغي شأنه [illegible] الأصل لجدير به ان يغزوه ما أتلف ويصلح ما أفسد » وتعرض لمرآة [illegible] في مقالة العقوبة [1] فكان بين جنبيه جذوة نار من الحقد والموجدة تتقد على [illegible] لانه [illegible] المجتمع الانساني لانه لايعاقب القاتل على جرمه ولا [illegible] في سلسلة المجرمين .

والغالب ان ثقته بالجرائد المصرية ضعيفة جداً [illegible] من [illegible] والكتاب جماعة الاغبياء والرؤوس المصرية موضوعة في مائدة الالعاب كما توضع الاكر على طاولة « منضدة » (البليارد)

والسيد وطني سلمي معتدل يقابل اتفاق الاحزاب السياسية على اختلافها وتنافرها على تناكرها ما دامت الغاية من تأليفها « تحرير الوطن من رق العبودية »

ومن رأيه ان العلماء والجهلاء سواء [2] وليس [illegible] من الفرق الا ان هؤلاء لايعرفون كيف يعبرون عن آرائهم وافكارهم واولئك [illegible] في كيفية [illegible] الحكمة [illegible] وعظهم وارشادهم وان ما ينطق به الحكيم العالم من جوامع الكلم هو نفس ما يأتي به الجاهل من الامثال ولا ان كلام الاول في اسلوب محمود ومقال الثاني في تعبير مبتذل .

يقول فيما هذا ثم يكتب في مقالة « موت العظماء » ما نصه : [3] « ليست هذه العشرة ملايين (يعني المصريين) التي يراها لا اطفالا صغاراً وسوائم رتعاً لولا علماؤها واذكياؤها الذين يقودونها الى الخير ويأخذون بيدها في ظلمات الحياة »

فليت شعري اذا كان العلماء والجهلاء في مستوى واحد من العلم والتربية فماذا ينحي على أمته وابناء دياره وينزلها منزلة الحيوانات العجم لولا العالم والجاهل . واذا كان المنفلوطي قد وجد في معاجم اللغة ان [illegible] في العلم والجهل من الالفاظ المترادفة فيكون كلامه حينئذ جامعاً للتناقض في الاحكام .

* * *

لغته

لم ار فيما رأيت من الكتب الممتعة التي وعت نتاج قرائح اهل الادب في هذا العصر اكثر [illegible] واماثله افصح لغة ولا احسن تركيباً من كتاب « النظرات » فانك ترى على فصوله مسحة العربية الاولى وخدمات في الغالب من ركاكات الكتاب

---

(١) ص — ٤٠٥ (٢) ص — ٢٢٢ (٣) ص ٣٥٦

الجدد والمبتذلة من تراكيبهم وجملهم المتعاظلة التي اعتورتها العامة حقبة من الزمن انسلخت فيه عن العربية الخالصة حتى اصبحت الى الاعجمي اقرب منها الى اللسان العربي المبين .

بيد انا نرى من الواجب ان لا نمسك القلم في تقديرنا اياه من سقطاته في جمل نزلت منزلة اقوال العامة والفاظ لغوية كان الاجدر بكتاب ادبي مثل هذا ان يكون مصونا عنها .

فما نأخذه به استعماله فعل (ازدرى) متعديا بالباء والعرب لا يعرفونه الا متعديا بنفسه في قوله في مقالة « اليتيم » : « من العجز ان يزدري المرء بنفسه » واستعماله (الوظيفة) بمعنى (المنصب) وقوله : « خرج في المنطق عن الحيوانية والناطقية » والصواب ان يقال : « من الحيوانية والناطقية » وقوله « جداً عجيب » والاولى ان يقال « عجيب جداً » لان « جداً » اذا لحقت اضيفت الى ما بعدها ونسبته « بديهة » على « بديهي » وكان عليه ان يقال (بدهي) كما يقول في « بجيلة (بجلي) واستعماله (تلاءم) بمعنى اتفق في قوله في مقالة الجمال « غير متناسبة ولا متلائمة » وقوله : « ويحبس عليها الهموم » فان حبس هنا لا تتعدى الا بـ « عن » فاذا تعدت بـ « على » كانت بمعنى « الوقف » واستعماله « البسيطة » بمعنى « الساذجة » وقوله « ودققت النظر » والعرب تقول « دقق الشيء اذا اتم دقته » واستعماله « ترقى » بدلا « رقي » وجمعه لفظة « مثل » على « امثلة » واستعماله « المثل » وقوله « في السنة العامة » والصواب « على السنة العامة » واستعماله « الاعواج » بدل « الاعوجاج » و « تمرج » عوضاً عن « تموج » و « احتجز » بمعنى « منع » وقوله « لا تشتم الا الحياة » وهي عامية والافصح « ولا تنادي الا بالحياة » وادخاله واو الحال على الماضي بعد الا كما انها لا تدخل على المضارع المثبت في قوله « فما رأيت سطوراً مقطوعة الاواسط متشابهة الاطراف الا وقرأتها » وقوله « نهشه في اصبعه » والصواب « نهش اصبعه » واستعماله « الاعراض » بمعنى « العلامات » وقوله « يودعه الله في فطرة الانسان » والصواب « يودعه الله فطرة » الخ . . . .

هذا ما رأينا ان ننبه على ما ورد في كتاب النظرات من الالفاظ والجمل مما لا عهد للعرب به كما ان ثمة الفاظا اغفلنا ذكرها كاستعماله لفظة (المراسح) بدل (المسارح)

و (البالونات) بدلاً من (المناطيد) و (الميكروبات) بدلاً من (الجراثيم) ، و (الطاولة) بدل (المنضدة) ؟

والعقل يفسر له هذه النهضة الجديدة [illegible] على ظهور أمة [illegible] خصائصها وأدواتها وكتابها يرون أن في هذه اللغة التي يكتبون بها الغناء والكفاية عن أن يستمدوا [illegible] العربية في مناحي أساليبهم وأقلامهم وفي [illegible] يسوون .

— ٥ —

وصفه

وهب السيد المنفلوطي ملكة خارقة في الوصف تكاد تكون فيه نابغاً وسابقاً . والذي لا أقرأ له القطعة الأدبية يخيل إلي من فرط [illegible] من [illegible] ثم أقرأها [illegible] المرة بعد الأخرى [illegible] ان [illegible] هذا العصر من ينفخ في هذا الهيكل البالي من الأدب روحاً جديدة ليحيا حياة [illegible] .

قال في مقالة الغد (١) « الغد بحر خضم زاخر يعب عبابه وتصطخب أمواجه فلا يدريك ان كان يحمل في جوفه الدر والجوهر أو الموت الأحمر »

« ولقد خفي الغد عن العقول ودق شخصه عن الأنظار حتى لو أن انساناً رفع قدمه ليضعها لا يدري أيضعها في عتبة القصر أو في حافة القبر »

« الغد صدر مملوء بالأسرار الغزار تحوم حوله البصائر ، وتتسقطه العقول ، وتتدرجه الأنظار فلا يبوح بسر من أسراره إلا إذا جادت الصخرة بالماء الزلال »

« كأني بالغد وهو كامن في مكمنه رابض في مجثمه متلفع بفضل ازاره ينظر الى آمالنا وأعمالنا نظرات الهزء والسخرية ، ويبتسم ابتسامات الاستخفاف والازدراء »

« يقول في نفسه لو علم هذا الجامع انه يجمع للوارث ، وهذا الباني انه يبني للخراب ، وهذا الوالد انه يلد للموت ما جمع الجامع ولا بنى الباني ولا ولد الوالد »

الى أن قال : « أيها الشيخ الملثم بلثام الغيب ، هل لك أن ترفع عن وجهك هذا اللثام قليلاً لنرى لمحة واحدة من لمحات وجهك . أولا فاقترب منا قليلاً لعلنا نستطيع أن نستشف خيالك من وراء هذا اللثام المسدول فقد طارت قلوبنا شوقاً اليك ، وذابت أكبادنا وجداً عليك »

[illegible] الغد ، [illegible] آمالاً كباراً وصغاراً ، [illegible] . [illegible] عن

---

(١) ص — [illegible]

آمالنا أين مكانها منك ، وحدثنا عن [illegible] ماذا صنعت بها أيدي [illegible] ام كنت لا من [illegible] . لا لا ، صن سرك في صدرك وابق كتمك في وجهك ولا تحدثنا حديثاً واحداً عن آمالنا وامانينا حتى لا تفجعنا فيها فتفجعنا في ارواحنا ونفوسنا فإنا [illegible] عن الحياة بالآمال وان كانت باطلة ، ونسعد بالأماني وان كانت كاذبة »

وحسبنا هذه القطعة الذهبية التي اوردناها هنا دلالة على مكانة الكاتب من ملكة الوصف وبلوغ ما وهب من القوة الطبيعية في النثر الشعري او الشعر المنثور .

والمنفلوطي في بعض فصول كتابه تشابيه حسنة واستعارات جديدة ربما غمضت على عقول من اعتادوا تمجيد القديم من التآليف او تعامى عنها بعض من يرى « المعاصرة حرمان » فلم يرضوا لها شيئاً ولم يقيموا لها وزناً كقوله : [1] « فتشت عن الفضيلة في قصور الاغنياء فرأيت الغني إما شحيحاً ومتلافاً . أما الأول فلو كان جاراً لبيت فاطمة (رضي الله عنها) وسمع في جوف الليل انينها وانين ولديها من الجوع ما مد اصبعيه الى اذنيه ثقة منه ان قلبه المتحجر لا تمتد اليه عاطفة الرحمة ، ولا تمر بين طياته نسمات الاحسان » وربما انكر [illegible] وصفه القلب بالتحجر وعد جعله الاحسان نسمات اغراقاً منه في المجاز ومبالغة في الاستعارة ولكن الحقيقة في غير ما يزعمون .

ومثل قوله « لقد عقد رياء الناس امام عيني سحابة سوداء اظلم لها بصري حتى ما اجد في صفحة السماء نجماً لامعاً ولا كوكباً ساطعاً » وقوله « دموع ملونة من نجيع » وقوله « بهذه الدموع التي يمطرها علينا من سماء الصحف » ومن جمله الجميلة قوله : « وما نشر الظلام اجنحته السوداء في الآفاق حتى رأيتني احير من دمعة وجد في مقلة عاشق يدفعها الحب ويمنعها الحياء . لا ادري هل انا سر كامن في بطن الظلماء او حوت مضطرب في اعماق الماء » وقوله ايضاً : « هناك احسست بسلسبيل بارد من الامل يتسرب الى قلبي فيثلج صدره ويطفئ لوعته » وقوله في مقالة يخاطب بها المحزون : « انت حزين لانك فقدت واحداً من الآمال كان يتراءى لك في سماء حياتك فيملأ عينك نوراً وقلبك سروراً ، وما [illegible] الطرف [illegible] افتقدته فوجدته » وقوله : « ابتسامة [illegible] » الخ . . .

وقد اجاد الشيخ في مقالة « غرفة الاحزان » [2] ايما اجادة حتى ان قارئ القصة ليجد البرهان في نفسه بعد قراءته لها في دمعة تترقرق في جفنه تنم عن عواطفه وشعوره . وما هي

---

(١) اين الفضيلة ص — ١٧ (٢) ص — ١٤٣

لو قلت إلا حرارة القلب الجريح فهي حظ المنفلوطي [illegible] يتذوق شعراً وشعوراً . ولا يسعه إلا أن يكبر ذلك الوصف الذي لم [illegible] الحادثة إكباراً فتكون جامعاً إلا الشعر [illegible] من وحي الآلام وحياً [illegible] النفس السامية من ضروب المواساة .

— ٦ —

روح المؤلف

إذا صحت النظرية القائلة إن الكتابة صورة الكاتب [illegible] فإن حكمي في المنفلوطي أنه من حملة التشاؤم Pessimistes ولكن لا يستمد مذهبه من المذاهب الفلسفية أو [illegible] أو السياسية بل هو من يرى أن لا سعادة في الحياة ولا هناء وأن من العبث أن يلقي المرء بنفسه إلى التهلكة في معترك الحياة [illegible] الرذائل آخذة من النفوس مأخذها وأن [illegible] الأسعد الأشرار [illegible] بالفضيلة وهي ليس لها ظل في هذا الوجود .

هو ينظر إلى [illegible] الظلم [illegible] لأنه يعتقد [illegible] مصائب الدهر [illegible] والاضطراب في [illegible] ولا [illegible] والتفريق [illegible] سالكاً وطيب النفس [illegible] السريرة [illegible] والحليم [illegible](١)

[illegible] ما يشعر أو يفكر به هو [illegible] المشارقة [illegible] وكثيراً [illegible] من هؤلاء نفسه [illegible] وكنت [illegible] من سطوره [illegible] في هذه [illegible] التي [illegible] الشاعر العربي الحكيم .

[illegible]   من عطايب أسود من صبراء

[illegible]   [illegible]

صحبة [illegible] طريق   وطريق الفناء هذا البقاء

[illegible] يموت وحيا   [illegible] النفوس [illegible]

[illegible]   [illegible]

من [illegible]   [illegible] النفوس [illegible]

[illegible] لا [illegible]   [illegible] الأمنيات والآراء

---

(١) مقالة الشرف — ص — ١٥٢

نحن، ولولا الوجود لم تتم القصيدة فأجادتها فيه بلاغة — الخ ...

بدا لك كل هذا التشاؤم رأيناه في مقالة «الأسرة البيضاء»(١) وفي حياة صـ[illegible]ـرة المنتحر التي إنما تفرح لموته، تحسب موته إيماناً نهائياً تدنّي له الموت، وتلح في تأنيبها وتعنيفها، وأغرق في عتبها ولومها، ثم رجع بعد ذلك لنفسه يرثيه ندماً على ما فرط منه بحقها واحد يجالسها قائلاً: «ما الذي يحمله في صدره لك من الحقد والموجدة رجل لم يتم شبابه فيحزن على ذهابه، ولم يذق حلاوة الحياة فيجزع لمرارة الممات ولم يستنشق نسمات السعادة غضارتها فيأسى عليها عوداً بادياً».

«ما الذي ينقمه عليك من الدنيا رجل هو المحروم الأمل الذي يبشره بقرب النجاة من حياة ليس فيها من السعادة والهناء إلا لمحات قليلة يكدرها ما يحيط بها من الهموم والأكدار كما تكدر أنفاس الحزين الحارة صفحة المرآة»

«ليس كل ما أعدّه عليك من الذنوب أنك طليعة الموت الذي يخلصني من منظر هذا العالم المملوء بالشرور والآثام، الحافل بالآلام والأسقام، الذي لا أغمض عيني فيه إلا لأفتحها على صديق يغدر صديقه، وأخ يخون أخاه، وعشير يحدد أنيابه ليمضغ عشيره، وغني يبخل على الفقير بفتات مائدته وفقير يقترح على الدهر حتى لقمة الموت فلا يظفر بما يريد، وملك لا يفرق بين رعيته وماشيته، ومظلوم لا يميز بين ملك الملك ودونه، ونفوس تتهافت قتلاً على لون حائل، وظل زائل، وغرض ضائل، وعيش باطل وعقول تتهالك وجداً على زخارف، وألباب قد هامت عيون حائرة في رؤوس ملأى تنظر ولا ترى شيئاً مما حولها، وتلمع ولا تكاد تبصر ما تحتها»

هكذا رأينا المنفلوطي يرمي هذا العالم بنظرات كلها تشاؤم كما هو شأن جماعة المتشائمين في عامة شؤونهم وأطوارهم وحوادثهم. ولولا أنه «لا يقول إلا ما يعتقد ولا يعتقد إلا ما يسمعه صداه من جوانب نفسه»(٢) لقلنا إنها خطرات شاعر وجدت فيها من مياه خياله ممالا) ثم ما لبثت أن أدركها الغروب. أما وإن هذا الكلام هو صورة من صور نفسه فلا جرم أنها حالة نفسية كثيراً ما تمر بمن يميلون إلى التجرد عن المادة ويرون في سكون الموت وظلمته حياة مفعمة بالحركة والنور والرعد والسرور! ...

دمشق: صلاح الدين القاسمي

---

(١) ص — ٥ ج ٢ (٢) رسالة آداب المناظرة ص — ٢١٠